يتابع الاخبار

للاستاذ صهيب الكيالي المحامي

كانت سلمى غيندار تعرف من الطارق في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، فنهضت ترد على جسمها النحيل فضل ردائها المهفهف السابغ ، فتحت الباب ، فدخلت رائحة العرق ممزوجة بروائح اخرى كالتبغ مثلا ، يتبعها وجيه الصمدي الذي حلت ربطة عنقه وتفككت عرى سترته واحمرت عيناه احمراراً لايخفى معانيه : فقد شرب وجيه هذه الليلة شرب من يعمل لدينا كأنه يعيش أبداً !

وكانت سلمى رقيقة الحاشية ، لانها لم تتزوج الا في سن متأخرة ، بعد ان قطع أهلها وذووها الامل من زواجها ، وبعد أن نسقت في خيالها الف منزل للزوجية يحبو فيها السلام والمحبة ويزقو في باحاتها الاطفال الاصحاء بألبستهم الزاهية وأحذيتهم البيضاء الصغيرة ... لذلك كانت ترى في وجيه الصمدي نعمة يجب ان يسبح الله فيها ويحمد .. أليس لها ولدان جميلان ومنزل هادىء ودخل لابأس به ؟ .. ولذلك فقد كانت رفيقة في زجر زوجها وردعه عن هذه العلة التي ابتلاه الله بها .

قالت سلمى :

— أهكذا ياوجيه ! أما وعدتني بألا تشرب الا مرة واحدة في الشهر ؟ قال وجيه :

— اسكتي يازين النساء ، والله لوسمعت الخبر لسكرت معي حتى يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود . .

قالت باسمه :

— خير إن شاء الله ؟

قال :

— كمالي ياستي اسمعك إياه من أوله الى آخره واحكمي بعدذلك . وقبض على يدها بمرح ، وجرها الى ذيل الدرج المؤدي الى الطابق العلوي في المنزل ، واجلسها قربه على البلاط واخبرها بأن جيشنا السوري الباسل قد احتل مدينة سمخ في فلسطين وهل تعلمين أية قلعة حصينة هذه السمخ ؟ إنها كتلة من الحديد والاسمنت والصوان الأصم . آلاف من اليهود الانجاس قد فطسوا وقبض ملك الموت أرواحهم ! هل تحسبين أن سيدنا عزرائيل عليه السلام يقبل ان يقبض أرواحهم النتنة بيديه الكريمتين ؟ لاوعينيك ، فقد كان يلبس ، هو وأعوانه الكثر ، قفازات سميكة من جلد الجاموس ويسدون أنوفهم بالكمامات .. جهنم الحمراء غصت باليهود وفهقت وما تزال تزفر وتجأر صائحة : هل من مزيد .. وضحك وجيه الصمدي وتابع : قالوا ان أحد اليهود صاح بجنودنا الذين كانوا يطاردونه (أنا مسلم !) قال الديوث مسلم ! سفقة تسفق أجداده وتحرق دينة مسلم خسيء كل يهودي فطس في مزبلة !

— ! ! !

— تكلمي !

— قلت كل شيء ..

وغلى الدم في رأسه ، فقد اصابت كبرياءه وبدا ذلك في ملامح وجهه وهو يصر باسنانه ، وفي تلك النظرة الصارخة تتقد بها عيناه ، وكأنه لم يستطع بعد احتمال هـذا الموقف المترادف عليه بالم ثقيل ، فضغط على الزجاجة بعنف ؛ ايرجعها الى جيبه ، ان كبرياءه تثور ان مجرد تصوره لما سوف يعقب هذا المشهد من ضراع وثورة وان هذا الشعور المرح الذي انطلق في اجوائه حين اشتري الهدية يجعلانه الساعة في موقف حرج ، ماذا ؟ انه يود لو تتحطم الزجاجة وليشخب الدم من بين اصابعه . ورأى نفسه تذوب صغيرة حقيرة ، ولبسته نوازع شتى من الجبن والضعف والحقد والكبرياء والعزة والمهانة فضرب الزجاجة على الارض بعنف وقوة وتطايرت كشظايا متفجرة وهمهم وهو يتميز من الغيظ .

— ليتني رضيت بذلك الطيف وحده !

وانصرف دون ان يعيرها نظرة وداع مثل زفرة انشق عنها صدر مثقل .

عند الفجر ، افاق اهالي الحي ميكرين وهم يعبون ملء رئاتهم مع نسيم الصباح اريجاً طيباً بينما كانت الآنسة ناهد تتنفس في خياشيمها رائحة اشبه باكليل الزهر فوق القبور .

بيروت : احمد عو براك

وكان على سلمى أن تحث الصمدي على النوم كي يستيقظ في الصباح الباكر ويذهب الى وظيفته؛ فترفقت به طويلا حتى استطاعت أن تقوده الى الفراش، بعد ان روى لها كل اخبار فلسطين مستقاة من مختلف مصادر الاذاعة في العالم.

ولم تضع سلمى الفرصة في صباح اليوم التالي، فأخذت تقرع زوجها تقريعاً ناعماً مؤدباً، ولفتت نظره الى نوار وسمد طفليه اللذين كانا يتزاحمان وقتئذ على اكواب الحليب وعلى صدرها مريلتان ناصعتا البياض.. فخجل وجيه ووعدها بألا يعود الى مثل فعلته ليلة الامس.

ولكن الصمدي عاد الى فعلته.. وكيف لا يفعل وسلاح الطيران السوري يحرق المستعمرات اليهودية، ومدفعية الجيش المصري تدك المنازل فوق سكانها المجرمين، والجيش الاردني يكاد يطهر القدس من العصابات الآثمة، والعراق يقذف بقوات جديدة الى الميدان تنطلق فتصل الى الساحل؟.. إن وجيه الصمدي لا يستطيع، والحق يقال، ان يكون حيادياً أمام هذه الاخبار المبهجة. ام انه قطعة من جبن تافه لا يفور في عروقها الدم العربي الاصيل؟ صحيح ان الانسان يجب ان يتصرف الى اعمال وظيفته لا يهتم بما عداها، وصحيح ان رفاقه في الديوان لا يتتبعون مجرى الحوادث بنفس الاهتمام الذي به يتتبع؛ وهم لا يعنون الا بأخبار التضييف والعلاوات والترقيات وغلاء المعيشة في هذه الايام المسخة، ولكن أعمال الوظيفة لا تنتهي، وعلى المعركة الدائرة في فلسطين تتوقف سمعة الشرف العربي كما يصرح صديقه الاستاذ عبدالله مدرس التاريخ في ثانويه ابن خلدون.

وهكذا، فقد كان وجيه الصمدي يعبر عن حماسته لمعركة فلسطين التطهيرية على طريقته الخاصة: العرب ينتصرون؟ هذا شيء مفرح للغاية! فليزدد فرح وجيه، وليقطع الليل في خمارة (الواحة) مع الاستاذ عبدالله وفهمي الديكبش وسامي رباط حيث يخوضون أحاديث هازجة عن انتصارات العرب الماحقة في فلسطين...

وبدأت سلمى، هي أيضا تهتم للحوادث وتصفحت ذات يوم جريدة (الف الباء) فخرجت منها بنتيجة واضحة: سوف يسكر وجيه كل ليلة مامن ذلك بد! وابتسمت لهذه النتيجة نصف ابتسامة، اذ رضيت ان يكون ثمن انتصار الجيوش العربية على أعداء الله، اليهود، مجيء وجيه كل آخر ليل اعمى من السكر.. اصبحت ترى في تصرفات زوجها حينما يجيئها آخر الليل سكران، صدى الحوادث في فلسطين العزيزة!..

ولكن الرجل اغرق، امام وداعة زوجه، إغراقاً شديداً في سهره وسكره، وسرق منه ذات ليلة قطعة من ذوات خمسين ليرة وفقد عقاله ومنديله الحريري.. وفي ليلة اخرى اصطدم رأسه بباب دكان مفتوح فأزرقت عينه اليمنى فأخذ عتاب المرأة يكتسي لوناً من التقريع المؤلم، لاسيما حينما أصاب سعداً ابنها زكام ثقيل جعلها تسهر ليلتين كاملتين قربه دون ان تذوق طعم النوم؛ وكلمت زوجها قائلة:

— ان العرب ياوجيه ينتصرون في كل لحظة على ما اسمع فهل يتبغي لك الا تهجر الخمرة أبداً:

فخجل وجيه خجلا شديداً؛ ووعدها ان ينقطع عن السهر والسكر نهائياً، لأن (السكر يسيء الى ذكرى الشهداء) على حد تعبيره!

ومضى اسبوع ووجيه يأوي الى المنزل باكراً. وذهب بسعد الى الطبيب، وحمل له الادوية، وقضى ليلتين في العناية به والحدب عليه، حتى ان الطفل تماثل الى الشفاء وعاد يملأ البيت ضحكاً وحبوراً.

ذات ليلة تأخر وجيه عن المبيت، وانتظرته سلمى فلم يأت فنامت. حتى اذا ما كانت في احلى احلامها سمعت طرقاً على الباب كأنه يأتيها من مكان سحيق ويفتح عينيها بقوة فقامت الى الباب ثقيلة الرأس مخلطة الرواية شديدة الحنق واعتزمت ان تثور هذه المرة؛ وثارت فعلا.. ولكن الصمدي لم يدعها تسترسل اذ قال لها وفي عينيه الحمراوين غضب مشتعل وفي صوته نوادر ثورة:

— كيف لا يسكر الانسان ياسلمى حزناً وغضباً؟ أنا في اشد حالات الانفعال، انا حانق حتى العظام انظري أهكذا يفعل الجيش العراقي في جنين؟ (البقية على صفحة ٨٠)